مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد السابع ،العدد الرابع ، ماي 2022 ص - ص:610-627.

المجالس العلمية الأندلسية، تقليد معرفي في الفضاء الفكري بمدينة بجاية خلال القرن 7 هـ/ 13م

The Andalusia Scientific Councils, a knowledgeable custom in The city of Béjaïa Intellectual Space during the 7th AH/13th AD century

آسيا ساحلي(*)
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، (الجزائر)، assia.sahli@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 31 /2021/10 تاريخ القبول:22 /2022/03 تاريخ النشر: 11 /2022/05

الملخص: لعبت العناصر الأندلسية الوافدة إلى حاضرة الحفصيين الثانية "بجاية" خلال القرن 7 هـ/ 13 م، دورا بارزا في التأسيس لقواعد علمية ثابتة في الفضاء الفكري بالمدينة، من خلال المجالس العلمية التي كانت تعقد بالمؤسسات الدينية، وحتى في بعض الأماكن الخاصة، هذه المجالس استطاعت أن تجلب إليها عددا كبيرا من المهتمين بمختلف أصناف المعرفة، وفي مقدمتها العلوم الدينية، على غرار حلقة الشيخ أبي عبد الله الكناني الشاطبي، حيث تم تلقين مجموعة مهمة من الدواوين العلمية، وقد كان لذلك أثره العميق في نضج الوعي الفكري في بجاية، وهنا يمكن اعتبار شخصية القاضي الغبريني النموذج المحلي الأبرز، الذي يجسد الدور المحوري لشيوخ الأندلس في تلك المرحلة الحساسة، وهو ما سوف أتناوله بالتفصيل في هذه الورقة البحثية.

الكلمات الدالة: بجاية؛ المجالس العلمية؛ مشيخة الأندلس؛ أبو عبد الله الكناني؛ الغبريني

Abstrac: The Andalusia members comers to the second Hafsids capital city of "Béjaïa" had played during the 7th AH / 13th AD century an eminent role in founding the antique scientific rules in the town intellectual space by holding the scientific councils in the religious foundations even in the private places, where the latter had been capable to attract a big number of students, Like the council of Al-Sheikh Abū Abdallāh Al- Kinānī Al-Shāṭibī by teaching an important scientific books, a matter which had a deep impact on the knowledge diversity spread, therefore the scientific formation of the Judge Al-Gubrini can be regarded as the local prominent model, which at this sensitive step revealed the Andalusia scholars role.Which I will discuss itin detail in this research paper.

* المؤلف المرسل

Keywords:	Béjaïa ; The Scientific Councils ; The Andalusia Sheikhdom ; Abū Abdallāh Al - Kinānī; Al-Gubrini

1. مقدمة:

تتنزل هذه الورقة البحثية ضمن محاولات جادة، تسعى إلى بلوغ أهداف منهجية ومعرفية مهمة، تتمثل في تسليط الضوء على طبيعة الحركة العلمية في مدينة بجاية، ودور العنصر الأندلسي خلال القرن 7 هـ/ 13 م، هذه المدينة الساحلية التي عرفت كمرفأ تجاري مهم بالمغرب الأوسط خلال القرن 5 هـ/ 11 م، ما فتئت تزداد اتساعا ونموا حتى استطاعت خلال القرون الهجرية اللاحقة، أن تصبح مركزا مهما لأمراء السلالة الحفصية، ولأصحاب الخطط الدينية والإدارية والعسكرية، وارتقت بذلك إلى مصاف "مدينة منافسة"، وعاصمة ثانية للحفصيين.

بلا شك هذه المؤشرات الايجابية، التي بدت عليها المدينة خلال مرحلتها الحفصية، كانت حافزا قويا في جعلها محط اهتمام وجذب لمختلف الشرائح الاجتماعية الوافدة من بلاد العدوتين، وباستعراض النصوص البيبيوغرافية المنجزة حول أعلام بجاية، وفي مقدمتها "عنوان الدراية" لسليل المدينة وقاضيها الغبريني (ت 704هـ/1304م)، وبعض كتب البرامج وفهارس الشيوخ، أجد الحقل النموذجي الأمثل لمعاينة دور العنصر الوافد في بجاية الحفصية هو النموذج الأندلسي، الذي أحرز تفوقا واضحا في تعزيز مسارات الحركة الفكرية بالمدينة، انطلاقا من المجالس العلمية التي كان يعقدها شيوخ الأندلس المتصدرين للإقراء، من المشتهرين بعلو كعبهم، وكفاءتهم العالية في مختلف فنون المعرفة المتداولة خلال المرحلة الوسيطة.

انطلاقا من هذه المعطيات التاريخية المهمة، سوف أحاول معالجة الموضوع من خلال إثارة النقاش حول بعض النقاط الجوهرية: ما مدى تأثير النخب العلمية الأندلسية على المناخ الفكري بمدينة بجاية خلال القرن 7 هـ/ 13 م؟ وهل يمكن اعتبار المجالس العلمية أحد أهم روافد نقل المعرفة الأندلسية إلى بجاية؟ وهل بالإمكان الكشف عن هوية بعض شيوخ الأندلس

المتصدرين للإقراء بالحاضرة؟ هل تسعفنا كتب البرامج وفهارس الشيوخ التي وصلتنا اليوم في الكشف عن أماكن التدريس داخل المدينة؟ ناهيك عن معرفة عناوين الكتب المتداولة في حلقاتهم؟

2. بجاية الحفصية محط اهتمام مشيخة الأندلس:

يبدو واضحا أن حالة التراجع والتقهقر التي آلت إليها الأوضاع العامة بمنطقة الغرب الإسلامي في نهاية العصر الوسيط، كان نتيجة حتمية لتلك الضربات التوسعية الموجعة التي تلقتها إمبراطورية الموحدين مع نهاية القرن 6 هـ/ 12 م، وبدايات القرن 7 هـ/ 13 م، عقب هزيمتهم المروعة في معركة "حصن العقاب" سنة 609 هـ/1212 م [1]، الأمر الذي أفضى إلى انحسار سلطة المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية، واقتصارها على مملكة غرناطة النصرية، التي سوف تشهد هي الأخرى هزات عنيفة في المراحل القليلة اللاحقة، وبالتأكيد كان لتلك الاضطرابات تداعياتها الخطيرة في زيادة تدفق أعداد الأندلسيين النازحين من المدن والقلاع التي سقطت في قبضة النصارى باتجاه العدوة المغربية، خصوصا كبريات حواضرها المشرفة على واجهتها البحرية في الضفة الجنوبية للمتوسط (سبتة، فاس، تلمسان، وهران، جزائر بني مزغنة، بجاية، تونس).

المرونة والقدرة الكبيرة التي أظهرها حكام البلاط الحفصي في استقطاب أعداد مهمة من شيوخ الأندلس النازحين في تلك المرحلة المضطربة، لفتت انتباه المؤرخ الأصولي ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م)، الذي قدم شهادته المهمة في هذا الخصوص بقوله "لما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأسف على قواعدها وأمصارها أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى أرض المغربين وإفريقية وكان قصدهم إلى تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها" [2]، وتكتسي شهادة صاحب العبر، أهميتها بكونها صدرت من شخصية مرموقة، تعود بأصولها العربية إلى أحد أهم الأسر الأندلسية، التي وجدت نفسها نازحة إلى حاضرة الحفصيين "تونس".

لقد شكلت مدينة "بجاية" الحفصية، محطة استقطاب مهمة لعدد مهم من الأندلسيين الوافدين إليها[3]، وأذكّر هنا بأهمية المادة الخبرية التي يوفرها لنا سليل المنطقة وقاضي المدينة، أبو العباس الغبريني (ت 704هـ/ 1304 م) في عمله التراجمي الذائع الصيت الموسوم بـ "عنوان الدراية" [4]، وقد ترجم فيه لنحو 111 شخصية علمية كانت بمدينته خلال القرن 7 هـ/ 13 م، تنوعت أصولهم الجغرافية بين منحدرين من الحاضرة البجائية أو من مناطق متفرقة من المغرب الأوسط (القلعة، جزائر بني مزغنة، وهران)، كذلك أورد تراجم لشخصيات من المغربين الأدنى والأقصى، يضاف إليهم شخصيات تعود بأصولها إلى بعض الجهات الأندلسية، وهي الفئة التي تعنيني في هذه المرحلة تحديدا.

تعقبي للأعلام الأندلسيين الوافدين إلى بجاية استنادا إلى تراجم الغبريني، أفضت في نهاية المطاف إلى وجود أزيد من 30 شخصية أندلسية كانت بالمدينة، شكلت فيها جالية شرق الأندلس القسم الأوفر منها، حيث يمكنني العثور على شيوخ نازحين من مدينتي "مرسية" [5]، "بلنسية" [6] بشكل لافت، إضافة إلى عدد من الشيوخ المنحدرين من "شاطبة" [7]، و"مالقة" [8]، و"جزيرة شقر" [9]، كما يمكن العثور على شيوخ من جالية "قرطبة" [10]، و"غرناطة" [11]، و"وادي آش" [12]، و"رندة" [13]، وبعض النازحين من "اشبيلية" [14]، و"لبلة" [15]، و"طلبيرة الثغرية"[16].

يبدو واضحا أن عملية النزوح هذه حدثت بالتزامن مع إحكام النصارى قبضتهم على عديد المدن الأندلسية بشكل متتابع ومتسارع، وهنا يمكنني التنبيه إلى أهمية رسالة الصريخ التي بعث بها ابن مردنيش والي "بلنسية" إلى السلطان الحفصي أبي زكريا، حيث كان "الكاتب البارع التاريخي" ابن الأبار (ت 658 هـ/1259م)على رأس الوفد المرسل إلى البلاط الحفصي [17].

دون الدخول في كثير من التفاصيل حول أسباب الهجرة، والظروف التاريخية المعقدة التي كانت خلف اختيار حاضرة بجاية، كإحدى أهم الوجهات البحرية المفضلة لدى كثير من شيوخ الأندلس [18]، فالمؤكد أن هذه الحاضرة كانت محطة عبور لمجموعة منهم إلى بلاد المشرق

على غرار الشيخ الصوفي محي الدين بن العربي (ت 640 هـ/ 1242 م)، وابن سبعين (ت 696 هـ/ 1297 م)، كما كانت نقطة عبور للخدمة في البلاط الحفصي بالحاضرة التونسية، كابن سيد الناس (ت 659 هـ/1260م)، وابن عصفور (ت 670 هـ/ 1271 م)،أما الفئة التي حاولت أن أسلط عليها الضوء أكثر، هي تلك التي استقرت بشكل نهائي بالمدينة، وانخرطالكثير منهم في وظائف مهمة، والجدول التالي أوضح فيه أبرز الأسماء.

الجدول 1: الشيوخ الأندلسيين المستقرين في بجاية والوظائف التي تولوها

الشيخ	تخصصه العلمي	المنصب الذي تولاه
ابن الجنان (ت 650 هـ/ 1252 م)	فقيه خطيب	الكتابة
أبو عثمان سعيد بن زاهر (ت 654 هـ/ 1256 م)	فقيه مقرئ	التدريس– خطة العدالة
أبو بكر بن محرز(ت 655 هـ/1257م)	فقيه حافظ لغوي	التدريس
أبو الحسن بن السراج(ت 657 هـ/ 1258)	راوية مسند فقيه	التدريس
أبو العباس أحمد بن خالد(ت 660 هـ/ 1262 م)	فقيه أصولي	التدريس
أبو الفضل قاسم القرشي(ت 662 هـ/ 1264 م)	فقيه زاهد	لم يتولى أي منصب
أبو العباس الصدفي(ت 674 هـ/ 1276 م)	راوية فقيه مقرئ	التدريس
أبو الحسن عبيد الله الأزدي(ت 691 هـ/ 1292	فقيه زاهد	لم يتولى أي منصب
أبو عبد الله الكناني(ت بعد 699 هـ/ 1299م)	فقيه خطيب	التدريس–العدالة–النظر
أبو العباس التميمي الخطيب (ق: 7 هـ/ 13 م)	فقيه	القضاء

المصدر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 302-307، 245، 241-181،244-182، 100-101، 161-164، 108-111، 121-122، 104-107، 213.

تحليل نتائج الجدول:

كما يظهر في الجدول أعلاه، أن هذه الفئة النشطة من الشيوخ الأندلسيين المستقرين بمدينة بجاية، البعض منهم انخرط في سلك القضاء وفئة الكتّاب، كما تولوا الخطبة وصلاة الفريضة بمساجد المدينة، على أن هناك بعض الشيوخ الأندلسيين، لم يذكر الغبريني انخراطهم في أي

منصب، وعلى ما يبدو أن التفرغ للعبادة، وتهذيب النفس، والانقطاع عن مشاغل الدنيا، ناهيك عن الابتعاد عن أبواب السلاطين، كلها تقف خلف ذلك العزوف، في مقابل ذلك نلحظ أن الاشتغال بالتدريس، وعقد الحلقات العلمية في الجامع، كان الوظيفة الأكثر رواجا بين هذه الشريحة الوافدة.

3.دور شيوخ الأندلس في التكوين العلمي للغبريني:

ليس هناك نموذج انتقائي مثير للاهتمام، وجدير بالدراسة يمكنني العثور عليه، والذي يظهر الدور المحوري الذي لعبه شيوخ العدوة الأندلسية في الفضاء الفكري البجائي[19]، أفضل من شخصية سليل "بني غبرين" أبي العباس أحمد الغبريني، والذي راح قتيلا ضحية بطانة السلطان الحفصي [20]، المكانة العلمية المرموقة التي حاز عليها الغبريني بين معارفه ومعاصريه، يمكن أن نلمسها في الوصفالذي حلاه به تلميذه نزيل تونس، ابن جابر الوادي آشي (ت 749 هـ/1338 م) في قوله "الشيخ الفقيه الخطيب المدرس قاضي الجماعة" [21]، وبالمثل وصفه تلميذه الثاني ابن الطواح التونسي (حيا سنة 718 هـ/ 1318 م) بقوله " كان هذا الرجل محصلا حافظا فصيح اللسان ذا خط بارع وقلم لما يريد مطاوع" [22]، أما النباهي (ت بعد: 792 هـ/ 1389 م) الذي أدرجه ضمن القضاة المترجم لهم في كتابه "المرقبة العليا" [23] فكتب عنه يقول "كان في حكمه شديدا مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه وحفظ لفروعه وقيام على نوازله وتحقيق المسائل".

وإن كنت هنا لست بصدد التعريف بهذه الشخصية البجائية المرموقة، ولكن المؤكد أن المكانة العلمية التي حاز عليها الغبريني، تؤكد على تضلعه في بعض فروع العلوم الشرعية، وعلى وجه الخصوص الفقه والأصول وعلوم العربية، الأمر الذي يثير فضولنا حول هوية الخلفية الفكرية التي أسست لهذه الشخصية العلمية البارزة.

ما نعرفه عن الغبريني، انخراطه وبشكل مكثف في المجالس العلمية التي كانت تعقد في مدينته بجاية، وعلى شيوخه المذكورين في مشيخته الملحقة بآخر كتابه "عنوان الدراية"، قرأ

عليهم علوم الرواية والدراية [24]، والملاحظ عليهم تنوع أصولهم الجغرافية بين بجائيين، وعدد مهم من الوافدين،وبهدف الكشف عن دور شيوخه الأندلسيين تحديدا، سوف ينصب تركيزي على هذه الشريحة دون سواها باعتباره موضوع الدراسة، مع رصد أهم عناوين الكتب التي قرأها عليهم، على ما أوضحه في القائمة الاسمية التالية:

الجدول 2: شيوخ الغبريني الأندلسيين وأبرز مقروءاته عليهم.

الشيخ	الكتب التي قرأها عليه الغبريني
أبو العباس أحمد بن خالد	**الأصلان**: الإرشاد- المستصفى. **المنطق**: معيار العلم
ابن اندراس الأموي	**النحو**: قانون أبو موسى الجزولي. **الطب**:أرجوزة ابن سينا، كليات القانون.
أبو العباس الصدفي	**التفسير**: الكشف والبيان للثعلبي، والتحصيل لأبي العباس المهدوي، أحكام القرآن لأبي الحسن الطبري. **الحديث**: الموطأ، الصحيحان، مسند ابن حنبل، سنن أبي داوود، جامع الترمذي والنسائي، التمهيد لابن عبد البر، المختار الجامع لابن عبد الحق التلمساني. **الفقه**: التفريع لابن الجلاب. **التصوف**: رسالة في فضل مكة لأبي الحسن البصري. **الأصلان**: كتاب لأبي بكر البقلاني.
أبو مُحَمَّد عبد الحق الأنصاري	**الأصلان، والتصوف**
ابن عجلان القيسي	غير وارد [25]
أبو الحسن الأزدي	غير وارد [26]
ابن الغماز	غير وارد [27]

أبو عبد الله الكناني	**اللغة**: مفصل الزمخشري، دواوين شعر حبيب، المتنبي، المعري، الأشعار الستة. **التصوف**: الرسالة القشيرية. **الأصلان**: الإرشاد للجويني. **التفسير**: الكشاف للزمخشري. **الحديث**: الموطأ، الصحيحان، سنن أبي داوود، الترمذي، مسند ابن حنبل. **الفقه**: كتاب ابن الحكم المصري، المقدمات الممهدات لابن رشد الجد.

المصدر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 85، 86، 100، 101، 102، 104، 107، 108-111، 254، 259. الغبريني، المشيخة، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 321، 322.

تحليل نتائج الجدول: الجدول أعلاه يعرض علينا سبعة أسماء مهمة من شيوخه الأندلسيين المشتهرين بعلو كعبهم في مختلف أصناف المعرفة، وبمراجعة قائمة الكتب المتداولة في مجالسهم العلمية، فقد أظهرت هذه الأخيرة قدرة شيوخ الأندلس في تلقين أشكال معرفية متعددة الروافد سواء كانت مشرقية، مغربية، أندلسية، كما عكست ذلك الانفتاح الفكري الذي بدت عليه حلقة شيوخ الأندلس بمدينة بجاية، وتلقينهم لعدد مهم من الدواوين العلمية في مختلف فنون المعرفة المتداولة خلال القرن 7 هـ / 13 م.

وجاءت هذه العناوين موزعة على ثمانية فروع، حيث بلغت مقروءات الغبريني نحو تسعة عناوين في علوم الحديث[28] وهو الرقم الأعلى، وأربعة كتب في علم التفسير، وثلاثة في علوم الفقه ومثلها في الأصلين، وكتابين في علوم اللغة العربية، يضاف إليهما مجموعة من دواوين الشعر، إضافة إلى عناوين في المنطق والطب والتصوف، بلا شك تظهر هذه المعطيات أثر شيوخ الغبريني الأندلسيين في تكوينه العلمي، وتقديمه كشخصية فقهية لها معرفة جيدة بعلوم الحديث والأصلين وعلوم العربية.

4 . المؤسسات الدينية وبيوت الشيوخ، فضاءات فكرية نشطة بالمدينة.

في البداية أنبه على نقطة مهمة، تتمثل في قلة المعلومات حول طوبونيمية مدينة بجاية، ونسيجها العمراني بشكل عام، الأمر الذي لا يسمح لنا بالكشف على الكثير من أسماء الأماكن التي احتضنت مختلف الأنشطة الفكرية والتعليمية، بما فيها المؤسسات الدينية، ومع إقراري بهذه الصعوبات المنهجية، فالأمر يتطلب مني مزيدا من التركيز على تلك الإشارات الضنينة الخافتة، التي تسربت عرضًا إلى الروايات التاريخية التي وصلتنا اليوم، ومحاولة استنطاقها بشكل أفضل.

هنا تبرز أهمية جامعها الأعظم [29]، حيث كان عدد من الشيوخ يعقدون به حلقاتهم في مواعيد معلومة [30]، وهي الحالة التي تنطبق على حلقة الشيخ الشاطبي الأصل، أبي عبد الله مُحَمَّد بن صالح الكناني،وقد تولى به الفريضة والخطبة ما يزيد عن الثلاثين [31]،كذلكحلقة الشيخ أبي زكريا اللقنتي الأندلسي سنة 630 هـ/ 1233 م[32]،وحلقة الشيخ أبي العباس أحمد القرشي الغرناطي[33]، أما نزيل بجاية التجيبي(ت 730 هـ/ 1329 م) الذي تحلّق بحلقةشيخه أبي عبد الله الكناني بالجامع الأعظم، فقد انفرد بالإشارة إلى "مسيد النصاصين"، كأحد مساجد المدينة، التي كان شيخهالكناني يؤم فيه الناس ويلقي دروسه كذلك[34].

بالموازاة مع الدور التعليمي للمؤسسات الدينية في المدينة، جرى التدريس أيضا خارج هذه المؤسسات على غرار الحوانيت، وإن كنت أصطدم هنا مرة أخرى بقلة المعطيات الخبرية، إلا أن حانوت "مدينة العلم"، الذي ورد اسمه في إشارة عرضية للغبريني في ترجمته للشيخ أبي علي المسيلي (ت نحو: 580 هـ/1185 م)، توحي بتلك المباحثات العلمية المتداولة في الحانوت المذكور خلال القرن 6 هـ/ 12 م [35]، ورغم الإشارات الضنينة التي نملكها في الوقت الحالي في هذا الخصوص، إلا أنها تؤكد على اجتماع الشيوخ بالطلبة في بيوتهم، أشير هنا إلى بيت أبي عبد الله مُحَمَّد بن صمغان القلعي (ق: 7 هـ/ 13 م)[36]، وبيت ناصر الدين المشدالي (ت 731هـ/1330م) [37]،أما الجالية الأندلسية، فالإشارات الضنينة التي وصلتنا تشير إلى "بيت ابن محرز البلنسي"، الموصوف بـ "رأس الجماعة الأندلسية" [38]، وإن لم يحدد لنا الغبريني مكان

وجود بيت شيخه الأندلسي ابن محرز بالمدينة، إلا أنه في مقابل ذلك صرح باجتماع أربعة من كبار مشيخة الأندلس داخله [39] وهم: أبو عبد الله الجنان، وابن الأبار، وأبو المطرف بن عميرة، وابن سيّد الناس، هذا، ومن غير المستبعد أن تكون العديد من القضايا والمباحثات العلمية، كانت احدى النقاشات المتداولة في ذلك البيت الأندلسي العريق.

وفي هذا الاتجاه، أشير كذلك إلى بيت الفقيه الأصولي المالقي الأصل، أبي العباس أحمد بن خالد، الذي كان يستقبل فيه طلبته للدراسة والتحصيل، وبالتأكيد كان تلميذه الغبريني أحد المترددين على منزل شيخه، وسجل شهادته في هذا الشأن بقوله "وكان يقرأ عليه في منزله"[40].

5. حلقة الشيخ أبي عبد الله الكناني، نموذج بارز للمجالس العلمية الأندلسية في بجاية:

الجدير بالذكر والتنويه، أن المجالس العلمية هي تقليد معرفي متأصل في الثقافة العربية الإسلامية، وبلا شك تعطي هذه المجالس صورة واضحة عن مضامين الثقافة الإسلامية وأشكال صوغها، وطرق التلقين وأساليب التكوين[41]، حتى أصبح الانخراط فيها أمرا مهما للتحصيل، وطلب مختلف أنواع العلوم على امتداد القرون الوسطى، هذا التقليد المعرفي الذي تبناه شيوخ العدوتين الأندلسية والمغربية على حد السواء منذ مراحل مبكرة، سوف يسمح بتداول عدد كبير من المؤلفات والدواوين العلمية، وانتشار المعرفة على نطاق واسع في كبريات حواضر الغرب الإسلامي الوسيط، حيث تعتبر الطاقة الإنتاجية المعرفية في البلاد الأندلسية الأكثر ضخامة مقارنة بنظيرتها المغربية، كما شملت مختلف ضروب المعرفة، واتسمت ببعد كيفي يعكس بحق المكانة العلمية الرفيعة، التي حاز عليها مشيخة الأندلس بما فيها عناصر الجالية المتواجدة في بجاية.

لمناقشة إشكالية البحث في مختلف أصناف الدواوين المتداولة في مجالس شيوخ الأندلس في بجاية، أقترح الاستثمار في السيرة العلمية الحافلة التي تمتعت بها حلقة الشيخ أبي عبد الله الكناني الشاطبي[42]، لتكون نموذجا مهما يليق بالدراسة في الوقت الحالي، ذلك أن هذا الأخير يعتبر من الشيوخ الأندلسيين البارزين في بجاية، ومزاولته لمهنة التدريس بالجامع الأعظم لمدة ليست

بالقصيرة، سوف يفسح المجال واسعا لوجود شريحة واسعة من طلبته الآخذين عليه، من داخل المدينة وحتى الوافدين إليها.

مراقبتي الدقيقة للنشاط العلمي الذي جرى في حلقة هذا الشيخ الأندلسي، المعدود ضمن ساكنة بجاية المستقرين بها، ومن خلال استغلال عدد من كتب البرامج وفهارس الشيوخ وكتب الرحلة، حيث يرد ذكره وبشكل مكثف في سلاسل أسانيد رواية الدواوين العلمية، مكنني ذلك من الكشف عن هوية خمسة من تلامذته البارزين، وهم كما أسلفت ذكرهم سابقا: تلميذه الغبريني، والتجيبي السبتي، وأبي القاسم القبتوري (ت 704 هـ/ 1304 م)[43]، والرحالة العبدري (ت بعد سنة 688 هـ/ 1290 م)، والوادي آشي (ت 749 هـ/ 1348 م)، الذي يروي عنه بطريق الإجازة.

استنادا إلى بعض المعطيات الفهرسية المكثفة، التي نعثر عليها متفرقة في أعمال تلامذته المذكورين آنفا، أصبح بوسعي الآن تقديم أرقاما تقريبية جديرة بالاهتمام، حول مجموع الكتب التي يرويها عنه تلامذته، وفي محاولة مني التأكيد على الأهمية القصوى التي حظيت بها حلقة الشيخ الكناني، وحجم الكتب المتداولة في مجلسه بالجامع الأعظم ببجاية، أعرض هذه الأرقام الإحصائيات التقريبية:

الجدول3: تلامذة الشيخ أبي عبد الله الكناني ومجموع الكتب المدروسة عليه

التلميذ	المؤلفات المغربية	المؤلفات المشرقية	المؤلفات الأندلسية	المجموع
الغبريني	غير محدد	15	1	16
التجيبي	02	16	30	48
العبدري	02	08	09	19

تحليل نتائج الجدول: دون الدخول في كثير من التفصيل، فمن خلال أرقام الجدول أعلاه،يبدو واضحا أن حلقة الشيخ أبي عبد الله الكناني قد احتضنت عددا كبيرا من مختلف أصناف

الكتب والدواوين، كما تزاحمت فيها أعمال المدرستين المشرقية [44] ونظيرتها المغربية [45]، ناهيك عن الأندلسية، والتي تظهر بلا شك التأثير الكبير لمشيخة الأندلس على الفضاء الفكري في بجاية.

6. خاتمة: في ختام هذه الورقة، يمكنني التنبيه إلى نقطتين أساسيتين:

– أسهمت ثقافة المجالس العلمية الأندلسية التي كانت منتشرة في مختلف الفضاءات الدينية البجائية خلال القرن 7 هـ/13 م، في الترويج بشكل واسع للإنتاج المعرفي الأندلسي، حيث مثلت حلقة الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن صالح الكناني النموذج الأبرز في هذا الشأن.

– أظهرت حاضرة الحفصيين الثانية بجاية، قدرتها العالية في استيعاب مختلف التيارات الفكرية وخصوصا الأندلسية، ومن خلال شيوخ العلم المتواجدين بها، استطاعت هذه المدينة التأسيس لقواعد علمية رصينة، جمعت بين المرتكزات المعرفية للمدرسة الأندلسية، وإضافات المدرسة المغربية، وبلا شك يمكن اعتبار التكوين العلمي الذي تلقاه قاضي المدينة أبي العباس الغبريني، أحد أهم الشخصيات المحلية المرموقة، التي جسدت مستوى النضج الفكري في بجاية خلال مرحلتها الحفصية.

7. الهوامش:

[1]– لمعرفة مزيد من التفصيل حول معركة "حصن العقاب".أنظر: أمبروسي هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004، ص 418-423.

[2]– العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، 2000، 6/ 438.

[3]– تعتبر بجاية من المدن الساحلية بالمغرب الأوسط،وقد عرفت تواجدا للعنصر الأندلسي منذ مراحل متقدمة، ويكفي هنا العودة إلى شهادة البكري التي تحدثفيها عن كثرة الأندلسيين. أنظر: البكري: المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، 268/2.

[4]– تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م.

[5]– ترجم الغبريني لمجموعة من الشيوخ المنحدرين من مدينة مرسية منهم: الشيخ أبو الحسن الحرالي التجيبي

(ت 637 هـ/ 1239 م)، وابن العربي (ت 640 هـ/ 1242 م)، وابن الجنان (650 هـ/ 1252 م)، وابن برطلة (ت 661 هـ/1263 م)، وابن اندراس (ت 674 هـ/ 1276 م)، وابن سبعين (ت 696 هـ/ 1297 م).

(6)– من المنتسبين لمدينة بلنسية الذين نعثر لهم على ترجمة عند الغبريني، ترجمة الشيخ ابن زاهر (ت 654 هـ/ 1256 م)، وابن محرز (ت 655 هـ/1257م)، وابن الأبار القضاعي (ت 658 هـ/1259م)، وابن الغماز (ت 693 هـ/ 1293 م).

(7)– هناك مجموعة مهمة من الشيوخ المنحدرين من شاطبة، منهم: أبو العباس الصدفي (ت 674 هـ/ 1276 م)، وأبو عبد الله مُحَمَّد الخزرجي (ت 691 هـ/ 1292 م)، وأبو عبد الله مُحَمَّد ين صالح الكناني (ت بعد 699 هـ/ 1299م).

(8)– على غرار الشيخ أبي العباس أحمد بن خالد (ت 660 هـ/ 1262 م).

(9)– منهم الشيخ أبو المطرف ابن عميرة المخزومي (ت 658 هـ/ 1258 م).

(10)– من المنتسبين لمدينة قرطبة الشيخ أبي الفضل قاسم القرشي (ت 662 هـ/ 1264 م).

(11)– منهم الشيخ أبو العباس أحمد القرشي الغرناطي (ق: 7 هـ/ 13 م).

(12)– منهم الشيخ أبو الحسن علي الششتري (ت 668 هـ/ 1269 م).

(13)– منهم الشيخأبو الحسن عبيد الله الأزدي (ت 691 هـ/ 1292 م).

(14)– من شيوخ جالية اشبيلية، يمكن العثور على ترجمة ابن السراج (ت 657 هـ/ 1258)، وابن سيد الناس (ت 659هـ/ 1260 م)، وابن عصفور (ت 670 هـ/ 1271 م).

(15)– منهم الشيخ أبو جعفر اللبلي (ت 691 هـ/ 1292 م).

(16)– منهم الشيخ أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي (ت 680 هـ/ 1281 م).

(17)– لمزيد من التفصيل. أنظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 259–260. ابن خلدون، المصدر السابق، 6/ 385– 389. المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، 3/ 205–206.

(18)– حول دوافع الهجرة الأندلسية إلى حواضر السلطنة الحفصية. أنظر:مُحَمَّد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، سنة 1975، ص 46–83. صالح بعيزق: بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص 358–374. مسعود بريكة: النخبة والسلطة في بجاية (7–9 هـ/ 13–15 م)، دار ميم للنشر، الجزائر،

2014، ص 113-115.

(19)- لمعرفة دور مشيخة الأندلس في تلقين المعارف التاريخية في بجاية. أنظر: آسيا ساحلي، المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7 هـ/ 13 م، مجلة الأندلس والمغرب، جامعة قادس الاسبانية، العدد 21، سنة 2014، ص ص97-116.

(20)- يعتبر ابن خلدون من أبرز المؤرخين الذين قدموا معلومات دقيقة حول نكبة الغبريني، وخصص لذلك عنوانا مستقلا في "الخبر عن سفارة القاضي الغبريني ومقتله". أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 264/6.

(21)- يعود تاريخ اتصاله بشيخه الغبريني في أعقاب الزيارة الأخيرة التي قام بها الغبريني إلى مدينة تونس سنة 704 هـ/ 1304 م. أنظر: الوادي آشي: برنامج الوادي آشي، تحقيق مُحَمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980 م، ص 43، 44، 303.

(22)- التحق ابن الطواح بحلقة شيخه الغبريني بالجامع الأعظم في أعقاب دخوله بجاية.أنظر: ابن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تحقيق مُحَمَّد مسعود جبران، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط 2، 2008، ص 238-239.

(23)- تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، 2006، ص 144.

(24)- استنادا إلى تصنيف الغبريني للعلوم، فإن علوم الدراية تشمل: الفقه، علم الأصلين، علم العربية، وعلم التصوف، وعلم المنطق، وأما علوم الرواية فهي تلك المصنفات التي حصلت له بأسانيد عمدة شيوخه ممن تقع عليهم الرواية. أنظر: برنامج مشيخة الغبريني، مطبوع بآخر عنوان الدراية، ص 307، 309.

(25)-التقى الغبريني بالشيخ ابن عجلان القيسي في تونس، إلا أنه لا يذكر الكتب التي قرأها عليه، في مقابل ذلك تطرق إلى صفة مجلسه. أنظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 116.

(26)- لا يذكر الغبريني عناوين المؤلفات التي درسها على هذا الشيخ. المصدر نفسه، ص 121.

(27)- التقى به الغبريني في بجاية وتونس واستفاد منه. أنظر: المصدر نفسه، ص 130.

(28)- رغم العدد المعتبر من أمهات كتب الحديث التي يحملها الغبريني عن شيوخه، إلا أن تلميذه الوادي آشي أشار إلى معرفته المنخفضة في هذا العلم. أنظر: الوادي آشي، مصدر سابق، 44.

(29)- قدم العبدري (ت بعد:688 هـ/1289م) وصفا دقيقا للمسجد الأعظم ببجاية، الذي عاينه في أثناء مروره بالمدينة سنة 689 هـ/1290 م. أنظر: العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدّو، مطبعة البعث، قسنطينة، 1964، ص 23- 24. كما أشير هنا إلى أهمية الدراسة الأثرية التي قام بها رشيد بورويبة، والتي

عرض فيها معلومات أثرية حول الجامع الأعظم، والذي يعود تاريخ بنائه إلى عهد الأمير الحمادي المنصور بن الناصر. أنظر: رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص 208- 210. دومنيك فاليرين: بجاية ميناء مغربي، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، 1/ 156-160.

(30)- أورد الغبريني بعض الشيوخ البجائيين الذين تولوا التدريس بالجامع الأعظم. حولهم أنظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 180، 91، 93، 170.

(31)- المصدر نفسه، ص 106.

(32)- من تلامذته الشيخ ابن عبادة القلعي. المصدر نفسه، ص 224.

(33)- التحق الغبريني بمجلس هذا الشيخ التي كان يعقدها بالجامع الأعظم.المصدر نفسه، ص 301.

(34)- يبدو أن الشيخ أبا عبد الله الكناني كان إماما بهذا المسيد (المسجد) في شهر شوال سنة 649 هـ/ 1252 م، وفي وقت لاحق قرأ عليه تلميذه التجيبي بهذا المسيد، جزء لطيف من مرويات شيخه الكناني بتخريج التجيبي نفسه. أنظر: التجيبي: برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص 161.

(35)-استنادا إلى رواية الغبريني، فهذا الحانوت يوجد في طرف حارة "المقدس"، وكان يجتمع فيه ثلاثة من كبار الشيوخ خلال القرن 6 هـ/ 12 م، وهم: أبو علي المسيلي، وأبو مُحَمَّد عبد الحق الاشبيلي (ت581 هـ/ 1185 م)، وأبو عبد الله القرشي (ق: 6 هـ/ 12 م). أنظر: المصدر نفسه، ص 69.

(36)- كتب الغبريني في ذلك يقول "وكان له مجلس دراسة بعلو سقيفة داره فيجتمع إليه خواص الطلبة". أنظر: المصدر نفسه، ص 189.

(37)- بخصوص تدريس الشيخ ناصر الدين المشدالي في بيته، سندي في هذا هو شهادة تلميذه التجيبي الذي صرح بالقراءة على شيخه المشدالي بداره. حولها أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 267. ومن الطريف كذلك أن التجيبي وفي مدة إقامته ببجاية، قرأ على صديقه أبي القاسم القبتوري كتاب "الشهاب" للقضاعي في منزلهما بالمدينة. المصدر نفسه، ص 149

(38)- المصدر نفسه، ص 242.

(39)- المصدر نفسه، ص 242-243.

(40)- المصدر نفسه، ص 100.

(41)- لمزيد من التفصيل حول المجالس العلمية ودورها في تنشيط المعرفة في الثقافة الإسلامية. أنظر: فرحات

الدريسي: منزلة مجالس العلم ووظائفها في إنتاج المعرفة في البيئة الثقافية العربية الإسلامية، أديكوب للنشر، تونس، 2001، 47-81.

(42)-حول المكانة العلمية التي حاز عليها هذا الشيخ بين معاصريه وطلبته. أنظر الترجمة التي حلاه بها تلميذه الغبريني، عنوان الدراية، ص 104. كذلك تلميذه العبدري، مصدر سابق، ص 24. وابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973، 231/6.

(43)-يفهم من رواية التجيبي، مصدر سابق، ص 35، 36، 254، 286. أن صديقه القبتوري قد اتصل بالشيخ الكناني بالجامع الأعظم ببجاية، وقد قرأ التجيبي عليهما مجتمعين في تلك المدة كتاب "الكافي في القراءات السبع" لشريح الرعيني، و"التيسير" لأبي عمرو الداني، و"أدب الصحبة" للسلمي. كما أن القبتوري كان الطالب القارئ لقصيدة "معراج المناقب" لابن أبي الخصال الغافقي في حلقة شيخه الكناني، وحضر سماعها التجيبي.

(44)- لمعرفة عناوين الكتب المشرقية المتداول في حلقة الشيخ أبي عبد الله الكناني. أنظر:التجيبي، مصدر سابق، ص 36، 50، 76، 90، 110، 114، 129، 141، 142، 150، 254، 255، 261، 264، 265. العبدري، مصدر سابق، 24، 25، 130.

(45)- لمعرفة عناوين الكتب المغربية المتداول في حلقة الشيخ أبي عبد الله الكناني. أنظر: التجيبي، مصدر سابق، ص 138، 258. العبدري، مصدر سابق، ص 130.

8. قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

1- البكري (ت 487 هـ/ 1094 م): المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م.

2- التجيبي السبتي (ت 730 هـ/ 1329 م): برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981 م.

3- ابن الخطيب السلماني (ت 776 هـ/ 1374 م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.

4- ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406 م):العبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، 2000 م.

5- ابن الطواح التونسي (حيا سنة 718 هـ/ 1318 م): سبك المقال لفك العقال، تحقيق مُحَمَّد مسعود جبران، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط 2، 2008 م.

6- ابن عبد الملك المراكشي(ت 703 هـ/ 1303 م): الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973 م.

7- العبدري (ت بعد سنة 688 هـ/ 1290 م): الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدّو، مطبعة البعث، قسنطينة، 1964 م.

8- الغبريني (ت 704 هـ/ 1304 م):عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م.

9- _____:مشيخة الغبريني، مطبوع بآخر كتاب عنوان الدراية.

10- المقري التلمساني (ت 1041 هـ/ 163 م): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939 م.

11- النباهي (ت بعد: 792 هـ/ 1389 م): المرقبة العليا،تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، 2006 م.

12- الوادي آشي (ت 749 هـ/1338 م): برنامج الوادي آشي، تحقيق مُحَمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980 م.

قائمة المراجع:

13- آسيا ساحلي، المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية خلال القرن 7 هـ/ 13 م، مجلة الأندلس والمغرب، جامعةقادس الاسبانية، العدد 21، سنة 2014، ص ص97-116.

14- أمبروسي هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004 م.

15- دومنيك فاليرين: بجاية ميناء مغربي، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014 م.

16- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977 م.

17- صالح بعيزق: بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية، تونس، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006 م.

18- فرحات الدريسي: منزلة مجالس العلم ووظائفها في إنتاج المعرفة في البيئة الثقافية العربية الإسلامية، أديكوب للنشر، تونس، 2001 م.

19- مُحَمَّد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة، عدد 26، سنة 1975 م، ص ص 46-83.

20- مسعود بريكة: النخبة والسلطة في بجاية (7-9 هـ/ 13-15 م)، دار ميم للنشر، الجزائر، 2014 م.